

روح المعاني

هو رمى البرء بجناية نفسه وعبر عنه بهما تهويلا لأمره وتفطيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمى به للرامى فان رمى البرء بجانية ماطيئة كانت أو إثما بهتان وإثم فى نفسه أما كونه بهتانا فظاهر أما كونه إثما فلأن كون الذنب بالنسبة إلى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة إلى من نسبه إلى البرء منه أيضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لاهو كذب محرم فى سائر الأديان فهو فى نفسه بهتان وإثم لامحالة ويكون تلك الجناية للرامى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن للانضمام جنايته المكسوبة الى رمى البرء وإلا لكان الرمى بغير جنايته مثله فى العظم وللمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الحاطئة وإلا لكان الرمى بغير جنايته مع تبرئة نفسه مثله فى العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البرء وإجراء عقوبتها عليه كما يندء عنه إثثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايدان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر على ما يقتضيه ظاهر صيغة الافتعال نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمى البرء تزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم فقط كذا قاله شيخ الاسلام ولا يخفى أنه أولى مما يفهم من ظاهر كلام الكشاف من أن فى التنزيل لفا ونشرا غير متب حيث قال إثر قوله تعالى : فقد احتمل الخ : لأنه بكسبه الائم آثم وبرميه البرء باهت فهو جامع بين الأمرين لخلوه عما يلزمه وإن أجيب عنه فافهم .

ولولا فضل اﷻ عليك ورحمته باعلامك بما هم عليه بالوحى وتنبيهك على الحق وقيل : لولا فضله بالنبوة ورحمته بالعصمة وقيل : لولا فضله بالنبوة ورحمته بالوحى وقيل : المراد لولا حفظه لك وحراسته إياك .

لهمت طائفة منهم أى من الذين يختانون والمراد بهم أسير بن عروة وأصحابه أو الذابون عن طعمة المطلعون على كنه القصة العالمون بحقيقتها ويجوز أن يكون الضمير راجعا الى الناس والمراد بالطائفة الذين انتصروا للسارق أو المودع الخائن وقيل : المراد بهم وفد ثقيف فقد روى عن جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضى اﷻ تعالى عنهما أنهم قدموا على رسول اﷻ صلى اﷻ عليه و سلم وقالوا : يا محمد جئناك نبأيعك على أن لانكسر اصنامنا بأيدينا وعلى أن نتمتع بالعزى سنة فلم يجبههم صلى اﷻ تعالى عليه وسلم وعصمه اﷻ تعالى من ذلك فنزلت . وعن أبى مسلم أنهم المنافقون هموا بما لم ينالوا من إهلاك النبى صلى اﷻ عليه و سلم فحفظه اﷻ تعالى منهم وحرسه بعين عنايته أن يضلوك أى بأن يضلوك عن القضاء بالحق أو عن اتباع ما جاءك فى أمر الاصنام أو بأن يهلكوك وقد جاء الاضلال بهذا المعنى ومنه على ما قيل :

قوله تعالى : وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع أن المنفى إنما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيال المراد هو الهم المؤثر ولاريب فى انتفائه حقيقة .

وقال الراغب : إن القوم كانوا مسلمين ولم يهملوا باضلاله صلى الله عليه وسلم أصلا وإنما كان ذلك صوابا عندهم وفى ظنهم وجوز أبو البقاء أن يكون الجواب محذوفا والتقدير ولولا فضل الله عليك ورحمته لأضلوك ثم استأنف بقوله سبحانه : لهمت أى لقد همت بذلك وما يضلون إلا أنفسهم أى ما يزيلون عن الحق إلا أنفسهم أو ما يهلكون إلا إياها لعود وبال ذلك وضرره عليهم والجملة اعتراضية وقوله تعالى : وما يضرونك من شيء عطف عليه وعطفه على أن يضلوك وهم محض و من صلة والمجرور